الباب الخامس

الماسونية في مصر

مقدمة

من أهم أسباب قدوم الماسونية إلى مصر الحملة الفرنسية، فقد ظهرت الماسونية الرمزية في عام ١٧٩٨م، أثناء الحملة الفرنسية، وذلك أن نابليون بونابرت حين احتل الديار المصرية، كان في جيشه نخبة من رجال فرنسا، ومعهم الجنرال كليبر، فلما وصلوا إلى القاهرة، أوعز بونابرت للجنرال كليبر باختيار بعض الضباط من الأخوة الماسونيين للعمل على تأسيس محفل لهم يجتمعون فيه، فأسس المحفل في القاهرة في أغسطس ١٧٩٨، تحت مسمى إيزيس، وأدخلوا في هذا المحفل الكثيرين من وجهاء القاهرة، وعمدها، وكان نابليون يفعل ذلك في كل مكان يحتله تمكينًا لحكمه، وحينما انسحب نابليون من مصر، وقُتل كليبر، توقفت أعمال المحفل، وانحلت عراه.

وفي عام ١٨٣٠م، وفد إلى مصر بعض الماسون الطليان، فأسسوا في الإسكندرية محفلاً بشكل سري، ثم لما كثروا نشطوا.

وفي عام ١٨٤٥م أرسل صموئيل جنس إعانات ضخمة إلى بعض الماسون في القاهرة، فأنشأوا محفلاً تحت رعاية المحفل الأعظم الممفيسي الفرنسي سموه محفل مينيس، وتم تأسيس محفل آخر في الإسكندرية باسم محفل الأهرام، انضم إليه الكثير من مختلف الطوائف، وهذه المحافل كلها كانت مرخصة بعلم الحكومة المصرية.

ولمحفل " الأهرام " هذا الأثر الكبير في بث الماسونية في مصر، حيث التحق به عدد كبير من رجال البلاد، من وطنيين، وأجانب مخدوعين بشعارات " الحرية والإخاء والمساواة " غير مدركين لما وراء الأكمة من مآرب خبيثة، ومنهم الأمير حليم باشا بن محمد علي باشا، والأمير عبد القادر الجزائري، بعد نفيه إلى دمشق، وانتقاله إلى القاهرة ضيفًا على الأمير حليم باشا، الذي قدمه إلى المحفل الأعظم في الإسكندرية، حيث جرى استثناؤه، ومنحه لقب أستاذ أعظم، وقدم جهودًا

مخلصـة فـي هذا المحفل الماسوني، بالإضـافة إلـى إدخالـه الماسونية فـي القطر السوري.

وفي عام ١٨٥٦م، أرسل هذا المحفل المفيسي من فرنسا مندوبًا عنـه، فأقام في الإسكندرية محفلاً إقليميًا على طريقته.

وفـي عـام ١٨٥٩، أسسـت محافـل أخـرى تحـت وصـاية المحفـل الأعظـم الفرنسـي، منهـا محفـل كـايوغراكو، ومحفـل بمبـاي فـي الإسـكندرية، ثـم نقـل المحفل الممفيسـي نشـاطه إلـى القـاهرة، فأنشـأ تحـت رعايتـه عدة محافل، منهـا محفـل أهـرام منـف، ومحفـل الكـون، وافتـتح محفـل ممفـيس الفرنسـي نشـاطه، وافتتح عدة محافل إضافية في بورسعيد، والسويس، والإسماعيلية.

وفي عام ١٨٦٤م، أسس المحفل الإيطالي الماسوني في الإسكندرية محفلاً ماسونيًا، اختص بمنح الدرجات العليا في الماسونية، وفوضـه أن يقيم محافل أخرى تمنح شتى الدرجات الماسونية لغايـة ∴ ٣٣، وتبعهم المحفل الإنجليزي الأعظم، فأنشأ محفل آخر؛ وسمى محفل كوكب الشرق.

وفـي عـام ١٨٧١م اتحـد تسـعة مـن الأخـوة الماسـون الحـائزين علـى الدرجات العليا، وقرروا تأسيس محفل أعظم علـى الطريقـة الأسكتلندية، وقرروا أن يكون هذا المحفل محفلاً أعظم يمنح الدرجات ∴ ٣٣، وهـي درجة أستاذ أعظم ماسوني، وكان رئيسه دوما نيكو شاروني.

وفي عـام ١٨٧٢م، دعـا الماسـوني المـاركيز يوسـف دي بوغـارد إلـى إحياء المحفل الممفيسي الأعظم، وأسس المحفل العالي الفلسفي، ثم وحدها مـع المحفـل الأسـكتلندي برئاسـة دومـا نيكوشـاروني، باسـم محفـل الشـرق الأعظـم الـوطني المصـري، وهـو مقـر الماسـونية الدوليـة المصـرية علـى الطريقة الممفيسية.

وفي تاريخ ٢١ مارس ١٨٧٣م، جرى انتخاب الأستاذ الأعظم المفخم زولا لرئاسة المحفل.

وفي ٢٩ نيسان ١٨٧٣م، انضم الخديوي إسماعيل باشا، ورعى الماسونية المصرية، ومن ثم وحَّد زولا بعد انضمام الخديوي إسماعيل المحافل الماسونية المصرية تحت زعامته، وأصبح محفل الشرق الأعظم المصري من ٨ أيار ١٨٧٦ مؤلفًا من:

أ- المحفل الأعظم الأسكتلندي. ب- المحفل الأعظم المصري.

ج- المحفل الأعظم الممفيسي.

ووصل عدد المحافل حتى عام ١٩٠٠، في مصر ٢٩ محفلاً، وذلك بالإضافة إلى عدد من المحافل الماسونية التي تتبع دولاً أجنبية كبريطانيا، وإيطاليا، وأمريكا، وألمانيا.

وفي عام ١٩٥٢ حلت نفسها، وبقى نشاطها بشكل سري (بعد ثورة يوليو ١٩٥٢)، ثم قررت الحكومة المصرية حلها نهائيًا في عام ١٩٦٤م [١].

ولقد ذكرنا من قبل أن دخول الماسونية إلى دمشق على يد الأمير عبد القادر الجزائري ١٨٥٦م، بعد عودته من مصر للإقامة في دمشق، كان المحفل تابعًا لشرق إيطاليا الأعظم، وكان هذا المحفل في حماية الأمير عبد القادر الجزائري، وكان آنذاك قطب أعظم، والقطب أعلى من أستاذ أعظم درجة.. ٣٣ [٢].

ولقد اتسع نشاط الماسونية في مصر مع تدفق الأجانب إلى مصر، منذ منتصف القرن التاسع عشر، وزاد نشاطها اتساعًا مع التمكين لهم من التدخل السياسي والاجتماعي، وقد استطاعت محافلها أن تجذب إليها عددًا من العلماء، والأدباء، والسياسيين، والفنانين الذين خدعتهم بشعاراتها، وإن كان رفضها الخضوع لرقابة الدولة، وإجراءات التفتيش من السلطات المختصة سببًا في إغلاقها عام ١٩٦٤، وإن كانت أعادت ممارسة نشاطها تحت مسميات جديدة هي: الروتاري، الليونز،

(١) يراجع كتاب " الماسونية ما لها وما عليها، للجزائري سعيد.
(٢) يراجع أيضًا كتاب " تاريخ الماسونية العام، لجرجي زيدان ١٨٨٩م.

منظمة شهود يهوه، البابية، والبهائية... فإن هذه المؤسسات جميعًا تتفق في محاولاتها السرية لتخليص أعضائها من الحماسة الدينية، وتتدرج في ذلك، حتى يصبح نظام الروتاري أو الليونز أهم عند العضو من الأديان، وحتى يحقق القول الذي اعتنقوه وهو " الأديان تفرقنا، والروتاري يجمعنا "، وتتفق هذه المؤسسات في محاربة الشعور بالوطنية، وفي أنها تخدع الإنسان ليرتبط بالعالمية، وليعتقد أن العالم وطن واحد لكل الناس، فتهون عليه أرضه، وأي قيم أو نخوة لديه كي تدفعه إلى الانحلال الخلقي، وتزين له الاندماج في حفلات الخلاعة والمجون.

وقد يجدر الذكر هنا أن هناك بعض التساؤلات الحائرة في التاريخ المصري الحديث لا تزال تبحث عن إجابات شافية مقنعة، ومن هذه التساؤلات، ما يدور حول بعض الأحداث الغامضة في هذا التاريخ، مثل ما عرف باسم " مذبحة الإسكندرية " في ١١ يونيو عام ١٨٨٢م، والتي مهدت للاحتلال البريطاني للبلاد، ومثل اشتعال حريق القاهرة في ٢٦ يناير عام ١٩٥٢م، والذي مهد لقيام ثورة يوليو من نفس العام.

وتصريحات مسؤولي الغرب والولايات المتحدة في السنوات الأخيرة عن حتمية إثارة الفوضى أو ما يسمى بالفوضى الخلاقة في المنطقة العربية، ثم حدوث ثورات الربيع العربي في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في مصر.

وعلى أية حالة فإن هناك من الأغلبية من نظر إلى الحركة الماسونية في مصر باعتبارها حركة ذات طابع استعماري صهيوني، وبالمقابل هناك من نظر إلى هذه الحركة - وإن كانوا أقلية - باعتبارها إحدى دعائم الحركة الوطنية في مصر، **واستشهدوا على ذلك بالعلاقة الخاصة التي كانت موجودة بين الحركة الماسونية، وبين السيد/ جمال الدين الأفغاني، إبان فترة وجوده في مصر**، وليس من شك - في رأينا - أن سببًا أساسيًا من أسباب هذا الغموض، الطابع السري الخفي الذي نهجته الحركة الماسونية، سواء في داخل مصر أو خارجها، مما لفها بكثير من أسباب الغموض المحير، ومما جعل البحث فيها والدراسة أشبه بالملاحة في بحار مجهولة..

وليس بغريب أن تكون مصر بحكم منطق الجغرافيا والتاريخ أول بلد عربي تدخله الماسونية القادمة من أوروبا، ولكن يجب أن نفرق بين الماسونية في أوروبا وأمريكا، والماسونية في غيرها، ولاسيما في المستعمرات الفرنسية والبريطانية آنذاك. والسبب الرئيس في هذه التفرقة، أن الماسونية دخلت المستعمرات في ظل ورعاية المستعمرين وعلى أيديهم.

ومهما قيل عن خلو أهدافها من أي نشاط سياسي في البلدان التي تطورت فيها أصلاً، ولا سيما بريطانيا، فقد كان من المستحيل أن تخلو من هذا النشاط في المستعمرات، ومهما تقنعت في هذه المستعمرات بأقنعة الحرية والإخاء والمساواة، فهذه الأقنعة تصبح بالضرورة ذات وجهين، وجه منافق مع شعوب المستعمرات، ووجه آخر في حقيقة الأمر ضدهم.

وبغض النظر عما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية من أن بعض المصادر ترجح تاريخ الماسونية إلى زمن بناء الأهرامات في مصر.

وبغض النظر أيضًا عما ذكرته دائرة المعارف اليهودية من أن الماسونية استمدت شعائرها من شعائر بناء هيكل سليمان في القدس، وأن اليهود هم مؤسسوها - وهو ما قد نتفق معه وثائقيًا -.

وبغض النظر مرة أخرى عما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أن بعض المصادر ترجع شعائر الماسونية إلى طائفة الدروز في الشام - وفي رأينا أن هذه دعوى أقرب إلى التمحك في التاريخ الإسلامي للتضليل -.

إلا أننا نعتقد أن ثبوت الأحداث في التاريخ لا تكون إلا بنص أو وثيقة أو مستند.

وعلى أي حال فإنه يمكننا تقسيم تاريخ الماسونية في مصر إلى ثلاث مراحل:

١- مرحلة التأسيس. ٢- مرحلة الاستقرار.

٣- مرحلة الانحسار والتحول إلى أشكال أخرى.

* * *

الفصل الأول:
مرحلة التأسيس

عرفت مصر المحافل الماسونية كالمشهور والمتواتر عقب غزو بونابرت لمصر عام ١٧٩٨م، وكان جرجي زيدان أول من أرخ في العربية لتاريخ مرحلة التأسيس هذه - كما قدمنا من قبل - ومن الواضح أن جرجي زيدان توقف عن تأريخه للماسونية في مصر عند سنة ١٨٧٨م، أي قبل صدور كتابه (تاريخ الماسونية العام) بعشر سنوات دون أن يوضح السر في توقفه عن ذلك التاريخ. ولكنه أشار في مقدمته للكتاب إلى أنه استقى معظم معلوماته من زولا الذي أصبح وقتها " رئيس أعظم المحافل المصرية سابقًا "، وأنه لو ساعده المقام - على حد تعبيره - لأتى على تفاصيل كثيرة يعلمها ولكنه اضطر إلى الاكتفاء بالنذر اليسير منها، والإغضاء عن بعضها " لما يحول دون التصريح بها من المحظورات التي نرجو قرب زوالها يوم لا يحظر على أحد التصريح بما في ضميره " على حد تعبيره.

وقد لا ينبغي أن نحمل اعتذاره هذا فوق ما يحتمل، ولكننا نشم فيه نوعًا من الحرج إزاء التصريح بكل ما عنده عن الماسونية في مصر وسوريا، كما قال وأغلب الظن أن هذا الحرج مبعثه أن زيدان نفسه كان ماسونيًا عاملاً متحمسًا حتى وقت تأليفه لهذا الكتاب.

والماسونية - بحكم دستورها الأول الذي نقله في كتابه - تلزم أعضاءها بكتمان أسرارها عمن ليسوا منها، ومع ذلك لم يكتب زيدان بعدها عن الماسونية في مجلته " الهلال " أو غيرها، حتى وفاته سنة ١٩١٤، سوى بضعة أسطر في كتابه " تاريخ مصر الحديث ". فقد قال في هذا الكتاب أن المحافل الوطنية " الأهلية " تأسست في عهد إسماعيل، وأن شأن الجمعية الماسونية في مصر تعزز بحمايته، فانتشرت مبادئها، حتى انتظم في سلكها نجله الخديوي توفيق، وجماعة كبيرة من أمراء

البلاد ووجهائها، وأغلب الظن أيضًا ان زيدان مات على ماسونيته التي تمنع التصريح بكل شيء.

بالرغم من الإجمال والإسقاط في معلومات جرجي زيدان اللذين اعتذر عن اضطراره إليهما فقد ظل كتابه عمدة المراجع عن تاريخ تلك المرحلة من حياة الماسونية في مصر، كما ظل نهبا لزملائه الصحفيين والكتاب الذين كانوا يرجعون إليه، وينقلون عنه، دون اعتراف بالفضل، ومع ذلك حاول بعض الباحثين والمستشرقين المعاصرين أن يعودوا إلى تلك المرحلة، وأن يراجعوا ظروف نشأة الماسونية، ومن هؤلاء الباحث اليهودي يعقوب لاندو، والباحثة الإيرانية هوما باكدامان، اللذين قاما بجهد مكثف في هذا الميدان.

يقول لاندو:

" في سنة ١٨٠٢م تأسس محفل الإسكندرية، ثم تلاه آخر بعد أربع سنوات، وكان الاثنان تحت رعاية محفل الشرق الأعظم الفرنسي، ولكن نشاطهما ما لبث أن توقف، ثم نسمع فيما بعد عن تأسيس محفلين فرنسيين آخرين، أحدهما في القاهرة سنة ١٨١١م، والآخر في الإسكندرية سنة ١٨١٢م، ومع ذلك لم يستمر طويلاً شأن محفل ثالث تأسس سنة ١٨١٥م.

ويستمر لاندو في روايته، فيضيف أن بعض الماسونيين الإيطاليين رحلوا من إيطاليا عقب فشل الثورة هناك سنة ١٨٣٠م، ثم جاؤوا إلى الإسكندرية، فأسسوا محفلاً معتمدًا من الطريقة الأسكتلندية في تلك السنة.

وفي سنة ١٨٣٨م أسسوا محفلاً آخر بالقاهرة، وتم هذا كله في سرية تامة خوفًا من ملاحقة السلطات المحلية، ثم أعاد الماسونيون الفرنسيون تنظيم صفوفهم في عهد محمد علي، فأسسوا محفلاً محليًا في الإسكندرية ١٨٤٥م ضم بعض كبراء المسلمين مثل الأمير عبد القادر الجزائري، والأمير حليم.

وفي سنة ١٨٦٠م بلغ عدد أعضاء المحافل الفرنسية في الإسكندرية

ألف عضو، كما أعد الإيطاليون تنظيم صفوفهم أيضًا ١٨٤٩م، ونشروا كثيرًا من الكتيبات والمنشورات للدعاية للماسونية بلغتهم، ولكن يبدو أن الفرنسيين تفوقوا على الإيطاليين في ذلك، ففي سنة ١٨٥٦م، أرسلوا إلى مصر وفدًا خاصًا لتأسيس محفل في الإسكندرية، وسرعان ما نشروا - مع الإيطاليين - المحافل خارج القاهرة الأسكتلندية، ولاسيما في بورسعيد، والسويس، والإسماعيلية، والمنصورة.

وإذا كان لاندو قد سد الفجوة الزمنية التي جاءت في رواية زيدان من ١٧٩٨ - ١٨٣٠، فلم يضف بعد ذلك الكثير إلى ما رواه زيدان. ولكنه يستمر في روايته فيقول أن الفرنسيين أسسوا محفلاً جديدًا في الإسكندرية باسم " نهضة اليونان " سنة ١٨٦٣م، وهي السنة التي تولى فيها الخديوي إسماعيل الحكم، وفي السنة التالية أنشأ الإيطاليون محفلاً آخر بالإسكندرية أيضًا باسم " اتحاد الشعب " وفتحوا باب عضويته للأهالي. ويبدو أن بعض الجمعيات الإيطالية السرية تنكرت في ذلك الوقت - كما يقول - وراء المحافل الماسونية، ومع ذلك تأسس محفل ألماني بالقاهرة سنة ١٨٦٦م، ومحفل آخر إنجليزي في السنة التالية. نشط فيه رالف بورج، نائب القنصل الذي اختار بعض أعضائه من الأهالي **" وسرعان ما وقع اختيار الماسون الفرنسيين من أتباع محفل ممفيس على الأمير حليم، فجعلوه أستاذًا أعظم لهم "، وخلال السنوات ١٨٧٢ - ١٨٧٨م اندمجت معظم المحافل الفرنسية في محفل الشرق المصري الكبير بالقاهرة، مما جعل الماسون قوة يحسب لها حسابها، حتى فكر الخديوي إسماعيل في استقطابهم عن طريق إظهار الاهتمام بهم، ومزيد الحماية إليهم.**

ومرة أخرى لم يقدم لاندو كثيرًا مما قدمه زيدان من قبل، باستثناء إشارته إلى المحفل الألماني الذي لم يرد له ذكر عند زيدان، وقد جاء ذكر محفل " نهضة اليونان " مختلفًا عما جاء عند الأخير الذي ذكره باسم " محفل اليونان " وذكر أن مقره القاهرة، وأن تأسيسه تم عام ١٨٦٦م، ولكنه تعطل.

أما محفل " اتحاد الشعب " الإيطالي، فلم يرد ذكره عند زيدان تحت هذا الاسم، وإنما كان له اسم آخر من الأسماء الخمسة للمحافل الإيطالية التي أوردها (الكوكب الأسكتلندي، نوفا بومبيا، الشنشتانو، السلام نور الشرق).

وقد استخلص لاندو هذه المعلومات والتواريخ - كما يقول - من وثائق ورسائل ومنشورات إيطالية وفرنسية عديدة. ومع ذلك فهي لا تضيف الكثير لما رواه جرجي زيدان إلا فيما يتعلق بالنصف الأول من القرن التاسع عشر، ومع ذلك أيضًا فهذه الإضافة تنكرها هوما باكدا مان التي تعتقد أن الماسونية لم تدخل مصر قبل سنة ١٨٤٨، فقد رجعت هوما إلى محفوظات المحافل الفرنسية، ووجدت أن أول محفل أنشئ في مصر هو محفل " الأهرام " الذي تأسس في الإسكندرية في ١٦ أبريل ١٨٤٨، ثم توقف عن نشاطه بعد فترة قصيرة، ولكنه استأنف النشاط سنة ١٨٦٢م.

وتضيف باكدامان أن ستينيات القرن التاسع عشر شهدت إنشاء محفلين آخرين تحت رعاية " الشرق الأعظم الفرنسي " هما محفل " نهضة اليونان " الذي تأسس في الإسكندرية في ٩ نوفمبر ١٨٦٣م، ومحفل " النيل " الذي تمت الموافقة على دستوره الرمزي في ٢٣ مارس ١٨٦٨، ومع ذلك لم يتأسس - في رأيها - أي محفل أهلي مصري قبل سنة ١٨٧٥م على الرغم من أن محفل الأهرام طلب من محفل الشرق الأعظم الفرنسي في ٢٠ فبراير من ذلك العام إنشاء محفل في مصر تكون لغته العربية، بدعوى أن جميع المحافل تستخدم لغات أجنبية، وأن الأهالي لا يستفيدون من هذه المحافل، ومن ثم تأسس محفل " نور مصر " تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي.

كما تأسس في الإسكندرية أيضًا محفل في غاية من الأهمية هو " الشرق الأعظم المصري " الذي اندمجت فيه المحافل الأخرى الأصغر، واختير الأمير حليم أستاذًا أعظم لهذا المحفل الكبير.

وهذه الرواية مهمة، من حيث أنها تضيف بعض التفصيلات حول

نشأة المحافل التابعة لفرنسا، ولكنها لا تدحض احتمال أن يكون بونابرت وضباطه أسسوا محفلهم - إن صح أنهم أسسوه - بمعزل عن المحفل الأعظم في بلادهم، فضلاً عن أنها تتعلق بالمحافل الفرنسية وحدها، ولا تتصل بالمحافل الأخرى، ولاسيما الإيطالية التي قد تكون أسبق من زميلاتها. وبذلك يظل اجتهاد لاندو صحيحًا. ويسنده من جهة أخرى، أن الجالية الإيطالية في مصر - في الإسكندرية بصفة خاصة - كانت أكبر الجاليات الأوروبية طوال عهد محمد علي، على الرغم من أن الأخير كان أميل إلى الفرنسيين، ومع أن الرواية المشهورة حول دخول الماسونية مصر زمن الحملة الفرنسية لا تستند إلى أي دليل مادي موثوق فيه، فهي تظل محض اجتهاد أيضًا، ربما يسنده أن ضباط بونابرت وجنوده أسسوا محافل ماسونية في ألمانيا عندما فتحوها سنة ١٨٠٦م.

غير أن لاندو وباكدامان لم يذكر شيئًا عن ذلك الرجل الذي يبدو أنه لعب دورًا خطيرًا في المحافل الماسونية في تلك المرحلة، وهو سوليتيري زولا الذي ذكره زيدان، وانتفع بما عنده من مادة عن المرحلة، وهذا الرجل " زولا " الذي لا يعرف الباحثون عنه الكثير - بل هناك تضارب في القول حول ملته وجنسيته - لم يذكره بعد ذلك سوى شاهين مكاريوس في أوائل القرن العشرين.

ومع أن مكاريوس الماسوني الأكثر تحمسًا من زيدان، قد وقع في بعض الأخطاء الخاصة بالتواريخ التي ذكرها زيدان، مثل دخول الماسونية مصر في أغسطس سنة ١٧٩٧، وصوابها ١٧٩٨م، فقد ذكر أن المحفل الأعظم الوطني المصري تأسس سنة ١٨٧٦م، بعد حدوث انقلابات كثيرة - على حد قوله - دون توضيح، وأن أول رئيس له كان رجلاً إيطاليًا يدعى سوليتيري إفنتوري زولا، ثم قال مكاريوس أن ذلك الرجل " فصل فيما بعد ومحى اسمه من سجل المحفل الأكبر لدواع اقتضت ذلك " دون توضيح أيضًا. ثم ترأس المحفل بعده رجل آخر (ربما

يكون يونانيًا) اسمه ديونيس ايكونو مويولو سنة ١٨٧٧. وإذا كان زولا المذكور قد ترقى في سلم الماسونية حتى وصل إلى درجة " أستاذ أعظم " - كما رأينا - ثم أخنى عليه الدهر فعزل ومحى اسمه من سجل المحفل لدواع اقتضت ذلك، فلابد أن تكون هذه الدواعي شديدة الأهمية والخطورة. ولكن مكاريوس لم يفصل ما قال، ومات على ماسونيته دون أن يصرح بشيء.

ومن الوقائع وما سبق من معلومات يبدو الغرض السياسي في دخول الماسونية مصر واضحًا، سواء دخلتها على أيدي بونابرت وضباطه، أو دخلتها في عهد الخديوي إسماعيل، كما يبدو الطابع الأوروبي في دخولها واضحًا أيضًا. فباستثناء الأميرين حليم، وعبد القادر الجزائري، لم تحفظ لنا السجلات الأولى لأعضاء المحافل الماسونية، سوى أسماء الأوروبيين، إيطاليين وفرنسيين ويونانيين، كما يتضح من الأسماء التي ترددت، غير أنه فيما يبدو أن مرحلة التأسيس هذه حفلت بالكثير من النشاط والتطورات، بالرغم من بعض الغموض الذي يحيط بتفاصيلها، وإذا كانت الماسونية قد دخلت مصر على أيدي الأوروبيين النازحين من مختلف الأجناس والجنسيات، فقد بدأت في استقطاب الأهالي، وتشجيعهم على الانضمام إليها إلى عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) بصفة خاصة، وربما لعب الأميران حليم، وعبد القادر، دورًا في هذا الاستقطاب.

يقول لاندو:

" يجوز القول بوجه عام أن الماسونية التي أدخلها الأوروبيون إلى مصر ظلت مخلصة لمبادئ البر والأخوة، وعلى العكس من ذلك تمثلت أسوأ أفعالها في بعض المحافل الإيطالية التي استغلت الماسونية في إخفاء نشاطها الهدام، ففي السنوات ١٨٦٨ - ١٨٧٠م على سبيل المثال توجد بعض التقارير المخطوطة البالغة الطرافة للممثلين السياسيين والقنصليين في مصر، وتصور هذه التقارير المحافل الماسونية في صورة خلايا

النحل، التي تعج بالعناصر الهدامة سياسيًا وجنائيًا، فمن الناحية السياسية تتآمر هذه على البيت المالك في إيطاليا، ومن الناحية الجنائية تمارس الإجرام في المدن المصرية، بالقتل وغيره، ثم نجد من محافلها الماسونية الحماية والمأوى والعون ".

وخلال السنوات ١٨٧١ - ١٨٧٩م كانت جميع النشرات الماسونية في مصر تصدر بالإيطالية كما يقول لاندو. وكانت الإسكندرية مركز الماسونية في مصر، ومع ذلك لم يكن ثمة مفر من أن يستخدم بعض المصريين المحافل في تحقيق أغراضهم خلال عهد إسماعيل الذي كان في فترة اختمار للحركة الوطنية بجميع تياراتها. وكانت الظروف التي وضع فيها إسماعيل البلاد تشجع البحث عن مختلف الوسائل لعلاج أحوال الاقتصاد المتردي، والديون المتزايدة، والاستبداد المطلق. وكأن النموذج الإيطالي من الماسونية مطروحًا في سوق الحركة الوطنية الوليدة، بكل ما فيه من شراسة ومؤامرات، ويبدو أنه كان نموذجًا مفصلاً، فقد تحمس لممارساته السياسية كثيرون من الوطنيين بمختلف فئاتهم، ولاسيما الذين انضموا منهم للمحافل الماسونية، إيطالية، أو فرنسية، أو إنجليزية، أو مصرية.

كان على رأس هؤلاء جميعًا شخصيتان لعبتا دورًا خطيرًا في تطورات الأحداث في أواخر عهد إسماعيل، وهما الأمير عبد الحليم (١٨٢٦ - ١٨٩٤) المشهور باسم حليم وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧) وكان للاثنين تلاميذ ومريدون وأتباع، أو كان لهما - بتعبير ذلك العصر - حزبان متعارضان في الكثير، ومتفقان على شيء واحد هو ضرورة التخلص من إسماعيل.

أما حليم فكان الوريث الوحيد للعرش حسب نظام الوراثة القديم، الذي نجح إسماعيل في تغييره سنة ١٨٦٦م، فجعل ولاية العهد لأكبر أبنائه، مقابل أكبر أبناء الأسرة العلوية حسب النظام القديم في عهد محمد علي.

وبذلك حرم حليم من عرش مصر بالرغم من أنه كان أكبر من إسماعيل بشهرين فقط، وقد تلقى تعليمه في فرنسا بكلية سان سير العسكرية، وعاد إلى مصر سنة ١٨٤٥م، فارتبط بالماسونية، وأنشأ علاقات مع أفراد الأسرة الخديوية والأعيان والمثقفين والفرنسيين، واختاره الماسونيون أستاذًا أكبر لهم في محفل الشرق الأكبر المصري سنة ١٨٦٧م برغم محاولات إسماعيل لإقصائه عن طريق أعوانه الماسون الإيطاليين.

وعلى أثر انتخابه أستاذًا أكبر بدأ وأعوانه في التآمر على إسماعيل، ثم اتهمه إسماعيل بمحاولة اغتياله سنة ١٨٦٨م، على أيدي بعض الإيطاليين الماسونيين، واتخذ ذلك ذريعة لطرده من مصر، فأبعده في نهاية ذلك العام. وذهب حليم إلى الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية، فعاش هناك بقية حياته، ولكن صلته بالأحداث في مصر لم تنقطع، فقد ظل أعوانه الماسونيون يتحركون، ولاسيما بعد تأكيد السلطان ولاية أبناء إسماعيل بفرمان سنة ١٨٧٣م.

وفي سنة ١٨٦٩م نسب إليه إسماعيل مؤامرة فاشلة على حياته، وفي سنة ١٨٧٦ شكا منه للقنصل الإيطالي بسبب استغلاله أعوانه الماسونيين في مؤامرات ضده. وفي سنة ١٨٧٩ خفض معاشه إلى الربع بمقتضى قانون التصفية للديون. وكان حليم ركز نشاطه من خلال الجمعيات السرية الإيطالية ابتداء من سنة ١٨٧٧م، ولما سقط إسماعيل في النهاية سنة ١٨٧٩م حاول حليم الاتصال بالعرابيين، والتعاون معهم على إسقاط توفيق، ولكن الاحتلال الإنجليزي قضى على هذه المحاولة سنة ١٨٨٢م، ومع ذلك ظل شبح حليم يهدد توفيق من بعيد حتى وفاة الأخير سنة ١٨٩٢م.

كان أعوان حليم من الماسونيين في مصر إيطاليين، وفرنسيين ويهودًا في معظمهم، وكان من بين أنصاره يعقوب صنوع، الذي ظل يؤيده في صحفه العربية في باريس حتى وفاته، وكذلك حسن موسى

العقاد أحد كبار تجار القاهرة، الذي نفى عقب فشل الثورة العرابية، فضلاً عن بعض الكتاب والصحفيين الآخرين الذين كانوا يتراوحون بينه وبين توفيق مثل أديب إسحاق وسليم النقاش، بالإضافة إلى عدد غير معروف من ضباط الجيش ممن اشتركوا بعد ذلك في الثورة العرابية.

وأما الأفغاني الذي طاب له المقام في مصر ابتداء من١٨٧١م إلى ١٨٧٩ فكان أقرب وأميل إلى توفيق، ولاسيما بعد أن اتفق معه قبل توليه الحكم على إصلاح حال البلاد، والحكم بالدستور والبرلمان.

ومع أن الأفغاني قضى سنواته الأولى في تعليم الشباب، وجمع حلقة واسعة من التلاميذ والمريدين على اختلاف انتماءاتهم وعقائدهم فسرعان ما نزل إلى ميدان السياسة التي شغلت الجميع وقتذاك.

وشجع على إصدار الصحف ودخول الماسونية، ثم دخل بنفسه الماسونية، وأدخل معه معظم تلاميذه، ولكننا لا ندري على وجه الدقة هل دخلها قبل عام ١٨٧٥م أم لا؟

ولكن دخوله الماسونية لم يكن " لأنه رأى فيها امتدادًا حديثًا لحركات التطرف الإسلامية القديمة التي اجتذبته بشكل واضح " كما يقول المستشرق ايلي كدوري - وإنما لأنه رأى فيه وسيلة الإصلاح والتغيير، مثلها مثل الصحافة، والخطابة اللتين ارتبط بهما وقت دخوله الماسونية، ولاسيما بعد تفاقم التدخل الأوروبي، وسوء أحوال البلاد، ويبدو أنه أعجب بشعار الماسونية الذي رفعته في ذلك الوقت في " الحرية والإخاء والمساواة " وهو ذاته شعار الثورة الفرنسية الذي روجته المحافل التابعة لفرنسا في مصر.

ولقد كشفت أوراق الأفغاني الخاصة التي نشرتها جامعة طهران سنة ١٩٦٣م عن بعض المعلومات المهمة الجديدة في هذا الموضوع. **ومنها ورقة سجل فيها الأفغاني مسودة طلب التحاق بأحد المحافل وعليها تاريخ " يوم الخميس " ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ (وهو الموافق ٣١ مارس ١٨٧٥م)**

وفيها كتب بخطه الفارسي:

" يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي الذي مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة بأني أرجو من إخوان الصفاء، واستدعى من خلان الوفاء، أعني أرباب المجتمع المقدس الماسون الذي هو عن الخلل والزلل مصون، أن يمنوا عليَّ ويتفضلوا إليَّ بقبولي في ذلك المجمع المطهر، وبإدخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر ". ولكم الفضل.

جمال الدين الكابلي (الأفغاني)

ولم يحدد الأفغاني اسم المحفل الذي عناه في طلبه، وإن كانت الباحثة هوما باكدامان تستنتج من لغة الطلب أنه المحفل التابع لفرنسا على أساس أنه أول محفل أهلي استخدم العربية كان تابعًا لفرنسا، وافتتح قبل ذلك التاريخ بقليل.

ومن الملاحظ في هذا الطلب أن الأفغاني عرف نفسه بأنه " مدرس العلوم الفلسفية " ونسب نفسه إلى كابول عاصمة أفغانستان، أما إشارته إلى " إخوان الصفاء " فيبدو أنها هي التي أوحت لكدوري بملاحظته السابقة، في حين أنها جاءت في الغالب بقصد إكمال السجع الذي سيطر على صيغة الطالب، وربما للإشارة إلى " الإخوان " الذي كان الماسونيون يحرصون على استخدامه - وما زالوا - عند الحديث عن جماعتهم.

وهناك ورقة أخرى ضمتها أوراق الأفغاني الخاصة سجل عليها عبارة:

" دخلت المحفل في ١٠ عاشوراء ١٢٩٣ (الموافق ٦ فبراير ١٨٧٦م) أثناء إقامتي بمصر" وللمرة الثانية لم يحدد الأفغاني اسم المحفل ولا نوعه، وإن كانت العبارة تشير إلى أنها جواب طلب التحاقه السابق. ومعنى هذا أنه قضى نحو عام في انتظار قبول عضويته.

هناك أيضًا ١١ خطاب دعوة لحضور اجتماعات لمحافل إنجليزية وفرنسية وإيطالية ويونانية في الفترة من ٢٤ يناير ١٨٧٧ إلى ٢٣ فبراير

١٨٧٩م ويتبين من هذه الدعوات أن عدد المحافل التي شهدتها القاهرة في تلك الفترة بلغ ٩ محافل، كما يتبين أن الأفغاني اختير رئيسًا لمحفل " كوكب الشرق " التابع للمحفل الأكبر الأسكتلندي في ٢٨ ديسمبر ١٨٧٧م، وأنه أصبح - بسرعة - شخصية مرموقة في هذه المحافل، يدعى لحضور جلساتها غير العادية، أو لشهود الاحتفال بدخول أعضاء جدد. وربما كان مسموحًا بتعدد العضوية في بعض هذه المحافل.

وقد يهمنا من هذه الخطابات، خطاب معين صادر من محفل كوكب الشرق في القاهرة بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨م وهذا نصه رغم عربيته الركيكة:

إلى الأخ جمال الدين ، محترم

" أنه لمعلوم لديكم بأن في جلسة ٢٨ الماضي وبأغلبية الآراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام. ولذا قد نهنئكم ونهني ذواتنا على هذا الحظ العظيم، وعن أمر الرئيس المحترم الحالي أدعوا اخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجاري الساعة ٢ عربي بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي. ثم سيصير يوم الخميس ١٠ الجاري الساعة ٦ أفرنكي مساء تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه. فالرجا حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الأشغال. وفي الحالتين ملابسكم تكون سوداء ورباط الرقبة والكفوف بيضاء. واقبلوا منا العناق الأخوي... " (١).

كاتب السر

نقولا سكروج

وبالرغم مما يتميز به هذا الخطاب من ركاكة، فهو من الوثائق النادرة للماسونية في ذلك العصر، وقد نلاحظ في الخطاب - فضلاً عن ركاكته - أنه وضع تحت اسم " لوج كوكب الشرق " في أعلاه رقمًا هو

(١) يراجع أيضًا في هذا الخصوص كتاب " الماسونية في مصر " للدكتور/ على شلش.

١٣٥٥، ولعله رقم المحفل في التسلسل الذي يتبعه... وكان برعاية المحفل الأكبر الأسكتلندي، ونروي أيضًا أن التاريخ الذي يعلو الخطاب استخدم فضلاً عن كلمة " لوج " الفرنسية بمعنى " محفل " وكلمة " جنايو " الإيطالية بمعنى " يناير ".

والتاريخ الماسوني (٥٨٧٨) تحت التاريخ الميلادي، فضلاً عن استخدام الرمز ∴ في آخر الخطاب، وهو من رموز الماسونية وعلاماتها المشهورة.

وفي تلك الفترة التي انهمك فيها الأفغاني في نشاطه الماسوني خطرت له ذات يوم فكرة اغتيال الخديوي إسماعيل، كحل للتخلص من استبداده، وإسرافه، وبؤس حال العباد، فقد روى الشيخ محمد عبده للمستشرق المؤرخ الإنجليزي ويلفرد بلنت أن الأفغاني اقترح فكرة ضرورة اغتيال الخديوي أثناء مروره اليومي بعربته على جسر قصر النيل، وأنه – أي الشيخ محمد عبده – وافقه عليها بحرارة، وإن كان الأمر لم يتجاوز الحديث الخاص بينهما كما قال الشيخ محمد عبده.

وذكر الشيخ محمد عبده لبلنت أيضًا أن الضابط لطيف سليم المدرس بالمدرسة الحربية الذي اعتقل بسبب مظاهرة الضباط ضد وزارة " نوبار " الأوروبية في فبراير ١٨٧٩م لم يفرج عنه إلا بعد تدخل الماسونيين وتوسطهم لإطلاق سراحه، وكان سليم ماسونيًا ومن مريدي الأفغاني وأعضاء محفله، وإذا كانت هذه الواقعة هي الوحيدة المسجلة حول نفوذ الماسونية، فلا شك أن هناك وقائع أخرى لم يسجلها أحد.

ولم يكن الأفغاني وحده متحمسًا للماسونية ونشاطها، فقد شاركه تلاميذه ومريديه بحكم ثقتهم فيه، ومصداقيته لديهم، ولاسيما من الكتاب ومحرري الصحف آنذاك. فقد درجت صحيفتا " مصر " و " التجارة " اللتان كان يحررهما أديب إسحاق على متابعة أخبار رائدهما وزعيمهما، ومن ذلك ما نشرته " التجارة " في ٢١ يناير ١٨٧٩م، **فقد وصفت إحدى الحفلات الماسونية التي خطب فيها الأفغاني بصفته رئيسًا للمحفل**

فقالت عن الحفل:

" انـتظم علـى مائـدتها نيـف ومائـة قائـل بالحريـة والإخـاء والمسـاواة، معظمهم من وجوه الوطن ونبهائه، وفيهم فئة كبيرة من ذوي المقامات والعلماء من المسلمين وغير المسلمين، فقام فيهم الرئيس المحترم خطيبًا، يبين ماهية ذلك الاجتماع، ومقاصد الماسونية، وصفق الحاضرون ونـادوا بـأعلى الصـوت: فلتحيـا الحريـة والمسـاواة والإخـاء، ثـم توالـت الخطـب للسعي فيما يوجب سعادة النوع الإنساني، وينقذه من ربقة الذل والعبودية، وتحالفت القلوب على الانتصار للحق والإنسانية، وألا يخافوا فيها أحدًا ".

وقـد اسـتمرت صـحافة الأفغـاني - إذا صـحت التسـمية - فـي هـذه الحماسة للماسونية حتى اعتقاله وترحيله إلى الهند، وقد قوى هذه الحماسة أنه أقدم قبل أيام من خلع إسماعيل على تصرف جريء أثـار انقسـامًا بين الماسونيين، وأنشب معركة حامية بينهم، فقد ذهب بنفسه ومعه سليم نقاش (مـدير جريـدتى مصـر والتجـارة) كمتـرجم إلـى دار القنصـلية الفرنسـية، وطلب مقابلة القنصل (مسيو تريكو) فلما أذن له بالمقابلة دار حوار بينهما حول الأوضاع المتردية، وضرورة تدخل فرنسا من أجل تنازل إسماعيل لابنـه توفيق، وطمأنـه القنصل وطالبـه بالصبر لأن " التنـازل صـار أمـرًا مقررًا وشيك الحصول، والتزام الهدوء لأن القلاقل قد تعود بالضرر علـى ولي العهد ".

ولكـن المشـكلة بـدأت عنـدما نشـرت " مصـر " الموضـوع فـي ٢٧ يونيـو ١٨٧٩م - بعد تنازل الخديوي بالفعل. فقد استهل الأفغاني حديثه مع القنصل بقولـه: " لقـد أتيـت بالأصـالة عـن نفسـي، وبالنيابـة عـن الحـزب الماسـوني، والحزب الوطني الحر المنتشر في جميع أنحاء القطر المصري ".

وفـي أعقـاب نشـر موضـوع هذه المقابلـة الجريئـة، نشـرت صـحيفة " الوقت " احتجاجًا من خمسة أعضاء في " محفل كوكب الشرق " أو " الكوكب الشرقي " - كما ذكرت الصحيفة - على إقحام الأفغاني الماسونية

في الموضوع، ومخالفته قوانينها التي تمنع التدخل في المسائل السياسية، وكتبت " التجارة " في ١٠ يوليو ١٨٧٩م ردًا بعنوان " الجمعية الماسونية مأمورة بخدمة الإنسانية كيفما كانت الطرق الموصلة إليها "، وأشارت إلى ما يحدث في الماسونية الأوروبية من تدخل في السياسة، وفضل أن يحاكم ذلك " العضو الجليل " أي الأفغاني في المحفل الرئاسي بدلاً من هتك حرمة الماسونية لدى الرأي العمومي.

وأعلنت " التجارة " في ١٥ يوليو ١٨٧٩م أنه تقرر في " محفل كوكب الشرق السني الماسوني " في جلسة مساء الجمعة الماضي أن يخطأ الأعضاء الخمسة فيما تهافتوا على نشره في جريدة " الوقت " مما خرجوا به عن حد الصواب، والحق، وخالفوا القوانين الماسونية، **ثم نشرت في ٥ أغسطس ١٨٧٩م رسالة للأفغاني يعقب فيها على ما خاضت فيه الصحف حول ذهابه إلى القنصل الفرنسي، وقال:**

" إن المصريين عمومًا والحزب الحر خصوصًا الذي من ضمنه جماعة الماسون من أبناء الوطن قد كانوا غير راضين عن هيئة حكومتهم السابقة، وكانت جميع أمانيهم حصر الخلافة الخديوية في سمو ولي العهد على ولائه، ولأجل إيضاح هذه الأماني التي من شأنها أن تولي الشرف لكل وطني حقيقي قد كلفت بالذهاب إلى سعادة الجنرال المشار إليه ".

كانت هذه الكلمة آخر ما نشره الأفغاني بالصحف المصرية، فقد طرد بعد أقل من ثلاثة أسابيع، وقبل أن يعتقل بيومين نشرت " التجار " في ٢٢ أغسطس ١٨٧٩م خبرًا مؤداه أنه " وفد على الجانب المعظم (الخديوي) وفد من رؤساء الماسون التابعين لشرق مصر الكبير، وخطب أحدهم بين يدي جنابه الكريم، وكان هؤلاء من أنصار الأمير حليم بالطبع، ولكنهم ما ذهبوا ليهنئوا الخديوي على توليه الخديوية، فقد كان فات أوان التهنئة، وإنما ليتبرأوا أمامه في الغالب من تصرف الأفغاني، وإقحامه الماسونية في السياسة وتحدثه بلسانها ".

وإذا ربطنا بين هذا كله وبين طرد الأفغاني، فمن الممكن القول أن تصرفه الجريء ساهم بنصيب كبير في طرده وعجل به.

وبعد طرد الأفغاني من مصر ـ تشتت " إخوانه الماسونيون " ولم يبق سوى إخوان حليم الذين كان من المحتم عليهم أن يبادروا بالمصالحة مع النظام الجديد، وإلا تعرضوا لما تعرض له خصمهم، ومن الواضح أن هؤلاء نجحوا في مبادرتهم كما يتبين من رسالة الأفغاني إلى صديقه رئيس الوزراء مصطفى رياض في أواخر ١٨٨٢م. فقد كشف في هذه الرسالة عن الصراع العنيف بين أنصار الماسونيين وأنصار حليم عقب زيارته للقنصل الفرنسي، وأرجع سبب تلك الزيارة إلى زيارة أخرى سابقة قام بها الماسونيون " من الأفرنج وأذيالهم " إلى القنصل نفسه. وفيها " بلغوه أن (صغو) [1] المصريين مع عبد الحليم باشا وضلعهم معه، وروعوه من وقوع الفتنة ان عنه إلى غيره ".

ويستطرد الأفغاني بقوله:

" ولما بلغت هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديوي (توفيق) من حزبي إلى القنصل، فكذبت ما بلغوه، وأظهرت له جلية الأمر وكشفت القناع عما أضمروه. وقد أعلن كل هذا في الجرائد الوطنية ".

ومعنى هذا في النهاية أن الماسونيين انقسموا في أواخر عهد إسماعيل إلى فئتين: فئة تسعى إلى إحلال الأمير حليم محل إسماعيل، ومعظم هذه الفئة من الأجانب، وفئة أخرى تسعى إلى إحلال توفيق ومعظمها من الأهالي تحت قيادة الأفغاني. **وبالرغم من انتصار الفئة الأخيرة، بفعل عوامل أخرى أقوى منها، أهما ميول الدول الأوروبية والدائنين إلى توفيق، فقد ذهب الأفغاني نفسه ضحية المناورات والدسائس بين الفئتين. وكان طرده خاتمة للصراع والنشاط الدائب بين صفوف**

(١) أي ميل.

الماسونية في تلك المرحلة..

ولقد أشار الأفغاني بعد سنوات عديدة إلى سر خلافه مع الماسونية في القاهرة خلال تلك المرحلة بوجه عام، حين صرح لتلميذه محمد المخزومي في الآستانة بأنه " اكتشف أن الجبن يمكنه أن يدخل بين أسطوانتي المحافل الماسونية "، وأن شعارات الماسونية استدرجته وجعلته ينضوي تحتها، فإذا به يجدها مفعمة بالأنانية، وحب الرياسة، والأعمال التي تقودها الأهواء. وحذر في الوقت نفسه من أن الماسونية " ستختنق في المهد " إن لم تصلح حالها وتعود إلى أصولها الصحيحة التي شوقته للعمل تحت لوائها، مثل الحرية والإخاء والمساواة، والسعي وراء دك صروح الظلم وتشييد معالم العدل المطلق على حد تعبيره.

وعلى الرغم من هدوء نشاط الماسونيين في مصر بعد طرد الأفغاني، وتشتت تلاميذه حتى دخول الإنجليز في يوليو ١٨٨٢م، فمن المنطقي أن يمضوا في تأييدهم لتوفيق والمصالح الأوروبية، نظرًا لأن أغلبيتهم كانت من الأوروبيين، وأن ينفصل الأهالي الذين كانوا يشكلون أقليتهم على أثر طرد الأفغاني، انتظارًا لوضوح الموقف، فلما تردت الأوضاع في الجيش سنة ١٨٨١م، وسيطر عرابي ورفاقه على الموقف، كان من الطبيعي أن ينضم القسم الأكبر من هذه الأقلية إلى العرابيين، وهذا ما حدث لتلاميذ الأفغاني، ابتداء من محمد عبده إلى سعد زغلول، وكان من الطبيعي أيضًا أن تؤثر الأغلبية الماسونية الأجنبية الصمت، أو مراقبة الموقف في صمت ظاهري على الأقل، ولكن هذا لا يمنع احتمال حدوث اتصالات بين العرابيين والماسونيين من أنصار حليم، وفي كلتا الحالتين انتهت المرحلة كلها بغزو الإنجليز لمصر.

* * *